عينيّة أبي ذؤيب

أمـن المنــون وريبــها تتوجّــع الدّهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أميمة: ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجنبـك لا يـلائم مضجعا إلاّ أقضّ عليك ذاك المضجع

فأجبتـها: أمّــا لجسمــي أنّــه أودى بنيّ من البلاد فودعوا

أودى بني وأعقبـوني غصّــة بعـد الرّقاد وعبـرة لا تقلع

سبـقوا هويّ وأعنقوا لـهواهـم فتخرّموا، ولكلّ جنب مصرع

فغبرت بعدهم بعيش ناصــب وإخـال أنــي لاحـق مستتبـع

ولقد حرصت بأن أدافع عـنهم فإذا المنيــة أقبلـت لا تدفـع

وإذا المنيّــة أنشبت أظفــارها ألفيـت كـلّ تمـيمة لا تنـفع

فالعيـن بعـدهم كأنّ حداقـها سملت بشوك فهي عور تدمع

حتّى كأنــي للحـوادث مـروة بصفا المشرق كل يوم تقرع

وتجـلّدي للشــامتين أريــهم أني لريب الدّهر لا أتضعضع

والنّفس راغبـة إذا رغـبتــه وإذا تـــــرد إلـــى قليـل تقنـع

ولئن به فجع الزمـان وريـبه إنّـــي بأهــل مودّتـــي لمفجّع

كم من جميع الشمل ملتئم القوى كانوا بعيش قبـتلنا فتصــدّعوا

والدّهر لا يبقى علـى حدثانــه جــون السّراة له جدائـد أربــع

صخب الشوارب لا يزال كأنّه عبد لآل أبي ربيعة مسبغ

أكل الجميم وطاوعته سمحج مثل القناة وأزعلته الأمرع

بقرار قيعان سقاها وابل واه فأثجم برهة لا يقلع

فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا في العلاج ويشمع

حتى إذا جزرت مياه رزون وبأي حين ملاوة تتقطّع

ذكر الورود منه و شاقى أمره شؤم وأقبل حينه يتتبّع

فافتنهن من السواء وماؤه بثر وعانده طريق مهيع

فكأنّها بالجزع بين نبايع وألات ذي العرجاء نهب مجمع

وكأنّما هو مدوس متقلّب في الكف إلا أنّه هو أضلع

فوردن والعيوق مقعد رابئ الضرباء فوق النّظم لا يتتلع

فشرعن في حجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب في الأكرع

فشربن ثم سمعنا صوت دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع

ونميمة من قانص متلب في كفه جشئ أجش وأقطع

فنكرنه ونفرن وامترست به سطعاء هادية وهاد جرشع

فرمى فأنفد من نجود عائط سهما فخر وريشه متصتمع

فبدا له أقراب هذا رائغا عجلا فعيث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعديا مطحرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

فـأبدهنّ ختوفـهن فهـارب بذمـائمه أوبـارك متجعـجع

يعثرن في حدّ الضبات كأنّما كسيت برود بني تزيد الأذرع

والدهر لا يبقى على حدثاته شبب أفـزته الكـلاب مـروّع

شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا رأى الصبح المصدّق يفزع

ويعـود بالأرطـى إذا مـا شفّـه قـطر وراحـته بليـل زعـزع

يـرمي بعينيه الغيوب وطرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع

فـغدا يشـرق متنـه فبـدا لـه أولـى سـوابقـها قريبـا تـوزع

فاهتاج من فزع وسد فروجـه غبـر ضـوار وافيـان وأجـدع

يـنهشه ويذبـهن ويحتمـي عـبل الشـوى بالطرتـين مولّـع

فـنـحا لها بمذلقـين كأنّمـا بهما من النّضخ المجدّع أيدع

فـكأن سفـوديـن لماّ يقتـرا عجلا له بشـواء شـرب ينـزع

فصرعنه تحت الغبار وجنـبه متـرّب ولـكلّ جنـب مصـرع

حتى إذا ارتدّت وأقصد عصبة منها ، وقام شريـدها يتضـوع

فبـدا له رب الكـلاب بكـفه بيض رهـاب ريشـهنّ مقـزّع

فـرمى لينـقد فرّها فهـوى لـه سهـم ،فأنفـذ طرتيـه المنـزع

فكبا كمـا يكبـو فـنيـن تـارز بالخبث إلا أنّـه هـو أبـرع

والدهـر لا يبقـى على حـدثانه مستشعر حلق الحـتديد مقنـع

حميت عليه الدّرع ، حتى وجهه من حرّها يوم الكريهة أسفع

تعدو به خوصاء يفصم جريها حلق الرّحالة فهي رخو تمزع

قصر الصّبوح لها فشرّج لحمها بالنبي فهي تثوخ فيها الإصبع

متفلق أنساؤها عن قانئ كالقرط صاو غبرة لا يرضع

تأبى بدرّتها إذا ما استغضبت إلا الحميم فإنّه يتبضّع

بينا تعنقه الكماة وروغة يوما أتيح له جريء سلفع

يعدو به نهش المشاش كأنّه صدع سليم رجعه لا يظلع

فتناديا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللّقاء مخدّع

متحامين المجد كلّ واثق ببلائه، واليوم يوم أشنع

وعليهما مسرودتان قضاهما داوود أو صنع السّوابع تبّع

وكلاهما في كفّه يزنية فيها سنان كالمنارة أصلع

وكلاهما متوشح ذا رونق عضبا إذا مسّ الضّريبة يقطع

فتخالسا نفسيهما بنوافد كنوافد العبط التي لا ترقع

وكلاهما قد عاش عيشة ماجد وجنى العلاء لو أنّ شيئا ينفع